ميثاق للإعلام والنّشر

تقــدّم

تفريغ اللّقــاء المرئــي

«نقاش مســائل في السياســة الشرعيــة»

١٤٣٥ هـ

للشيخ

أبو يمن الشامي

تقبّله الله



ميثاق ١٤٣٧-٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ميثاق للإعلام والنشر

تقـدّم

تفريـغ اللقـاء المرئـــي

نقاش مسائل في السياسة الشرعية

١٤٣٥ هـ

للشيــخ

أبـو يـزن الشـامـي

تقبلـه الله

ميثاق للإعلام والنشر

١٤٣٧هـ-٢٠١٦ مـ

بسم الله الرحمن الرحيم

نستضيف الشيخ محمد الشامي أبو يزن عضو مجلس الشورى في الجبهة الإسلامية لمحاولة نقاش بعض المفاهيم في السياسة الشرعية بإسقاطها على التاريخ وأيضا باستحضار من الحاضر لو نبدأ شيخي كتمهيد لذلك:

س: ما تعريف السياسة الشرعية عندك؟

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فأخي الكريم السياسة الشرعية مؤلفة من مفردتين السياسة والشرعية ولفهمها لابد من فهم ما تحمله كلتا من المفردتين من معاني:

أصل السياسة من ساس الأمر إذ دبّره ونحن نسمّيه السائس للدواب لأنه يقودها ونحو ذلك، والشرعية هي مستمدّة من الشرع الحنيف، فإذا جمعنا بينهما: هي تدبير شؤون الناس وقيادتها وفق الشرع أو كما ذكر أبو الوفاء ابن عقير رحمة الله عليه وابن القيم هو فعل ما يكون فيه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد.
لتوضيح المفهوم أكثر: **السياسة الشرعية يمكن أن نقسمها إلى سياسة منصوصة شرعاً وسياسة صادرة عن الأمّة أو من يمثلها كأهل الحل والعقد لا تخالف الشرع.**

يعني المفهوم السائد لدى البعض أن "لا سياسة إلا بما نطق الشرع" كما قال ابن القيم: "من قال أن لا سياسة إلا بما نطق الشرع فقد غلِط على الصحابة، ومن نفى مفهوم السياسة عن الدين أو علاقة السياسة بالدين قد غلِط على معنى الرسالة وعلى معنى الدين كهو فالإسلام: سياسةٌ تحكمها دين" الطرق الحكمية.

س: ما محل السياسة في الجهاد في المشروع الجهادي؟

لنعرف محل السياسة من الجهاد لابد أن نفهم ما هو الجهاد، الله سبحانه وتعالى عندما وصف الجهاد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ ﴾ الصف: ١٠-١١

فوصف الجهاد بأنه تجارة والتجارة لابد لها من الكياسة والفطانة، من الحنكة والتدبير، وحسن التصرف بالأمور، هذه الكياسة وهذه الفطانة وهذا التدبير يرادفه بالمصطلحات الشرعية: "السياسة الشرعية"

فإن الجهاد يحصّل للأمة رأس مالها، يحصّل لها عنصر تحرّكها لأنه ذروة السنام الذي يحرّك الجَمَل، يحصّل لها عنصر تحركها إن لم يُحمى هذا المال وهذا الربح الذي حققه الجهاد بسياسة شرعية ضاعت ولو تتبّعنا في تاريخنا المعاصر وما وُجد من تجارب جهادية وأعقبها إخفاقات وعدم حصول النصر والتمكين أو الهدف من هذا الجهاد نلاحظ أن من الحلقات المفقودة الرئيسية هي مسألة "السياسة الشرعية" كما نحتاج إلى الأخلاق لمنع المجاهد من أن يكون قاطع طريق، ونحتاج إلى العقيدة لمنع المجاهد أن يصبح ثائراً قومياً أو وطنياً ، ونحتاج إلى الإعداد العسكري لكي لا يبقى المجاهد ثائراً شعبياً، نحتاج أيضاً إلى تربية سياسية وإلى وعي سياسي وإلى وعي شرعي لكي لا يصبح الجهاد تجربة.

س: نحن نجد أن هناك مشكلة، المشكلة المزدوجة بالنسبة للسياسة الشرعية في التأصيل هناك مشكلة التأصيل ومشكلة التطبيق والمشكلتين أنتجتا علاقة سلبية وعلاقة ملتبسة وقاعدة سلبية بين الجهاديين والمشروع الجهادي وبين السياسة وصارت تعتبر كل سياسة هي بالضرورة تنازل وكل سياسة هي بالضرورة تمييع وهي تبديل المشروع وإلى آخره،

أن تتحدّث عن ذلك؟

جميل ... السياسة الراشدة التي كما قلنا تمنع السّفه الحركي الذي يُضيع الجهاد هذه السياسة الراشدة عزّت موادها وعزّ المتشرّبين لها أو المفكّرين الذين يمتلكون تصورات واضحة لها لأسباب عميقة أسباب تاريخية.

النبي عليه الصلاة والسلام ذكر لنا مستقبل هذه الأمة وبيّن لنا مستقبل هذه الأمة الذي رأيناه فيما بعد واقعاً وتاريخاً عندما قال " لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ " صحيح الترغيب

نقض الحكم الذي يتجلّى بغياب الشورى وظهور مفهوم التغلّب والتوريث والخلل بأنظمة الحكم بعد الخلافة الراشدة أضعفَ ميراثنا في السياسة الراشدة تاريخياً لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" الألباني، يعني ضيّق النطاق الزمني لفهم السياسة الراشد فما ورد بعد من حكومات جبرية أو من حكومات ملكية أسّست أمور المسلم على ما حملته من خير وفضل وعدل إلا أنها أضعفت جانب السياسة والسياسة ممارسة.

ثم جاء العصر الحديث "القرن الماضي" الذي ذهبت فيه الخلافة وذهب فيه الحكم بالشريعة وتطبيق الشريعة وغلبت فيه الحكومات العلمانية وبدأ الإسلام يعود على شكل جماعات وتنظيمات، هذه الجماعات والتنظيمات لا تملك تجربة حالية مثالية أو ناجحة لتقتدي بها وتريد أن تعود إلى تاريخها لتصدر عنه، هذه العودة إلى التاريخ والصدور عنه تفاوتت فيها العقول فأنتجت ما ذكرت من ضعف التأصيل ومن ثم في ضعف التطبيق أو الفصل بين التأصيل والتطبيق.

الحالة الأولى:

فتجد البعض عندما يريد أن يمارس السياسة ويرى تغيّر العالم والمنظومة الجديدة للأرض التي هي منظومة القطب الواحد، منظومة العالم الجديد أو منظومة العولمة يحاول أن يحاكي سياسات غربية بعيدة عن إسلامنا وعن هويتنا هؤلاء نسمّيهم **عقلية المغلوب** كما يقول ابن خلدون: "والمغلوبُ مولعٌ أبداً بالاقتداء بالغالب "

الحالة الثانية:

بالمقابل نشأت كردة فعل على هؤلاء عقلية أخرى تتعامل مع السياسة الشرعية ممكن أن نسمّيها بـ **عقلية التاريخي** وهؤلاء عادوا إلى كتاباتنا التي أورثها لنا علماؤنا في عصور الإسلام وحِقبه المختلفة وجاؤوا إلى هذا الواقع وجعلوا يحاكوا هذه الكتابات على هذا الواقع، وأيضاً لم يُوجدوا حلاً ولم يُنتجوا نتيجة طيبة لأن معطيات الواقع اختلفت والمنظومة التي تحكم العالم اختلفت، الكتابات التي كتبت في العصور العباسية والأموية وما يليهما كتابات كُتبت في عصور تمكين وعصور ازدهار وعصور خلافة إسلامية، الآن نحن في واقع استضعاف بحاجة إلى فقه نهوض لا إلى فقه تمكين، فنشأ بعض الباحثين الذين يمتلكون الحُرقة والإخلاص أرادوا أن يطرحوا تصوراً سياسياً إسلامياً معاصراً فجاؤوا إلى كتابات "أبو يعلى" و"الماوردي" التي توصّف الواقع العباسي لا أنها ترضاه ... في فرق بين توصيف الواقع وبين توصيف الرشد السياسي، نحن نطمح إلى الرشد "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين" تمام ، فاستنسخت هذه الكتابات وسمّتها هذه صورة الخلافة وهذه صورة دولة الإسلام وهذه صورة ال...

الحالة الثالثة:

وهناك عقلية ثالثة غلبت أيضا انتشرت وهي عقلية ممكن أن نسمّيها بـ **عقلية المستعجل**.

كما قلت لك في العمل السياسي لابد أن تدرك أين أنت وإلى أين تريد أن تصل والسبل والطرق بين نقطة الانطلاق والهدف أي: أساسيات العمل السياسي.

نحن الآن في واقع استضعاف هذه نقطة الانطلاق، هدفنا: دولة راشدة إسلامية نموذجية، الوسائل والطرق هي محل الاجتهاد ومحل الاستنباط ومحل الأخذ من التجارب والعِبر هذه هي المحل بينهما ... فتجد أصحاب الجاهلية أصحاب الدعوة الجاهلية المعاصرين يستفزّون الإسلاميين، ما علاجكم لهذه المشكلة في واقعكم -في واقع الاستضعاف تبعكم - ضمن المنظور الإسلامي سواء أكانت مشكلة اقتصادية، مشكلة سياسية، مشكلة اجتماعية، مشكلة كذا.... ؟؟ فيتعجّل

الكُتّاب في هذا الباب بأجوبة ورسائل لعلاج هذه المشاكل، هذه المشاكل في الحقيقة العلاجات المطروحة قد تكون علاجات ترقيعية أو لا تمثّل الإسلام بصورته الراشدة التي نتكلم عنها مالسبب؟ أنهم ما ملكوا الواقع أساساً يعني الواقع ليس بواقع إسلامي بالصورة الصحيحة حتى تطرح تصوراً إسلامياً ًلأن السياسة وأؤكد مرة ثالثة على هذه النقطة: السياسة ممارسة ... السياسة ممارسة، فأنت ما تملك واقع سياسي في أغلب العالم الإسلامي والعربي ما يملك أصحاب المشروع الإسلامي واقع سياسي يمارسون فيه مشروعهم فتظهر أيضا بصورة باهتة.

في باب التطبيق يكثر الخطأ بكل بساطة لضعف العلم الشرعي، لضعف الفقه والتأصيل في هذا الباب وعدم وجود أدوات الاستنباط والاجتهاد لدى القائمين في هذا العمل الإسلامي في الغالب فتكثر الأخطاء في التطبيق، يضاف إلى ذلك صورة تأصيلية أو قد تكون تخصصية قليلاً أننا في أصول الفقه: أهل العلم قسموا الفقه إلى: مصادر أصلية ومصادر تبعية. فالمصادر الأصلية هي: القرآن والسنة والاجماع والقياس.

والمصادر التبعية: كالاستحسان، كسد الذرائع، كالمصلحة المرسلة، كقول الصحابي، كالعرف.

المصادر الأصلية هي أصلية اسماً ومسمّى بمعنى أن العلماء القدامى عندما أرادوا أن يعالجوا نوازلهم ومسائلهم أول ما نظروا إلى القرآن فالسنة فالإجماع فالقياس، ثم نظروا إلى المصادر التبعية كدليل رديف أو تابع أو كاستحسان وتدعيم للقضية

في وقتنا المعاصر مع تغير نمط الحياة ومع كثرة النوازل خرج من يدعو إلى الاجتهاد وإلى نبذ التقليد وهي دعوة طيبة لكنه قطع الصلة بينه وبين الأقدمين ودعا إلى الاجتهاد ولم يمتلك الأدوات فهو ما امتلك علوم العربية ولا امتلك علوم أصول الفقه بالشكل الكامل الحقيقي ليستنبط من الكتاب والسنة بالشكل المباشر لعلاج النوازل بل غلُب الاعتماد على المصادر التبعية ونشأ عن ذلك نمطين سائدين:

النمط الأول: يعني هم ما يسمّون بـــ أصحاب الفكر الحداثي وما إلى هنالك اعتمدوا على المصلحة المرسلة، فكلما نزلت نازلة في الإسلام والمسلمين قالوا تجوز لماذا؟ مصلحة مرسلة وعموميات في الكلام يعني ما تجد استنباطات لا من كتاب ولا من سنة ولا من قياس بشكل مباشر فغلب عليهم التمييع في هذا الباب.

النمط الثاني: نشأت كردة فعل مدرسة مقابلة لها نسمّيها مدرسة سد الذرائع كلما تريد أن تقوم بخطوة سياسية مثلاً لاء لا يجوز لماذا؟ هل في الكلام مخالفة شرعاً؟ هل في الكلام كذا؟ لكن ما تدري لعل في قابل الأيام سوف تصبح كذا وكذا، لعل في قابل الأيام سوف تصبح كذا وكذا فسد ذرائع ... سد ذرائع ... سد ذرائع حتى أصبحت حياة الناس وحياة المجاهدين ضيق وحرج ...

يعني كما يقول الشاعر:

ألقَاهُ في اليمِّ مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتلَّ بالماءِ

فتغليب الاعتماد على المصلحة المرسلة أدى إلى التمييع، وتغليب الاعتماد على سد الذرائع أدى إلى التكتيف وكلاهما تضييع للجهاد وتضييع للعمل الجهادي.

لكن هنا شيخي عند المجاهدين والشباب يتبادر سؤال الجدوى وسؤال الحاجة أيضاً ... يعني لماذا فرض الشارع أو أتاح السياسة الشرعية وأيضا مالذي يجعلنا نحن نحتاج للسياسة الشرعية ونحن نقوم بذروة سنام الإسلام ونحقق الهدف الذي نعتقده بسلاحنا؟

جميل ، الجواب عن هذا السؤال أخي يعود إلى فهم طبيعة هذا الدين، المشكلة تكمن في كثير من الأحيان في فهم طبيعة هذا الدين، طبيعة هذا الدين أنه يُنشأ واقعاً، يعالج مجتمعاً، يُقيم نفسه بالأسباب المادية، مع اعتقاده وتوكّله أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى، ما كان خيار النبي صلى الله عليه وسلم أن يُطبق الأخشبين على أهل مكة، لأن إطباق الأخشبين سيكون للنبي أما من بعده ما يمتلكون هذه المعجزات، كان خياره أن يُقيم هذا الأمر بالأسباب المادية: بالهجرة – ثم الجهاد ثم صلح الحديبية ثم فتح مكة، الواقعية والممارسة ليكون أسوة للناس صلى الله عليه وسلم ليكون أسوة للناس، من لا يفهم طبيعة هذا الدين قال: ما حاجة لهذا الامر... خلص الله ناصرنا، الله معنا، الله يدفع عن الذين آمنوا بالذين آمنوا والله ينصر الذين آمنوا بالذين آمنوا

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ۝٤٠ ﴾ الحج: ٤٠
فالدفع يقع بماذا؟ الناس بعضهم ببعض،
قَالَ تَعَالَى:﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤﴾ التوبة: ١٤
فأنتم الأداة لكن من الناصر؟ وينصركم؟ الله، ادفعوهم أنتم لكن من الدافع؟
قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝٣٨ ﴾ الحج: ٣٨
الله هو الدافع.

فهذا الدين يقوم بالأسباب المادية، يقوم بالأخذ بالأسباب، يقوم بالممارسة، يقوم بالعمل، يقوم بالسياسة، فمن جرّد الدين عن السياسة جعله رهبنة أو ضرباً من الطوباوية والانفصال عن الواقع تمام، ومن جرّد السياسة عن الدين جعلها علمانية، فهذه الرّخص التي تعطينا إياها السياسة الشرعية وهذه المرونة التي تعطينا إياها السياسة الشرعية هي من صلب فهم الدين حتى من صلب فهم الجهاد والحرب، يعني من أراد أن يمارس الجهاد من غير سياسة شرعية ما فهم قول النبي صلى الله عليه وسلم "الحَرْبُ خَدْعَةٌ" صحيح البخاري ما فهمها لأن إيش يعني الخدعة؟ لا تأتي المباشرة بالقتال والصدام.

ولننظر إلى المعارك عندما كنا نتكلم عن الجهاد ننظر إلى المعارك التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم:

غزوة بدر: ضرب لهدف اقتصادي هذا بدأت أول ما بدأت.

غزوة أحد: الممارسة السياسية بالشورى قبل الغزوة، ثم الممارسة السياسية بعد ما جرى من كرّة المشركين على المسلمين وغزوة حمراء بني أسد لإعادة رفع الروح المعنوية.

غزوة الخندق: والاستفادة من تجارب الأمم والمفاوضة السياسية مع غطفان وقوله لحذيفة "لا تذعرهم علينا"

ثم صلح الحديبية الذي كان قبل الصلح بيوم "من يبايعني على الموت"

ثم في اليوم الثاني صلح سياسي ثم ننظر النبي صلى الله عليه وسلم كيف تعامل مع اليهود حيّدهم ... حيّد بني النضير عن بني قينقاع عن بني قريظة، ثم بعد أن حيّد المشركين في صلح الحديبية انتقل في عمل عسكري إلى "الخيبر" نظرنا إلى ... وهكذا.

إذا نظرنا إلى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده النبي صلى الله عليه وسلم وقتال النبي عليه الصلاة والسلام ما وجدناها انفكّت في لحظة أو في موقف من المواقف أو في مشهد من المشاهد عن السياسة الشرعية، ففهم العلاقة بين السياسة والشرعية يعود إلى فهم طبيعة هذا الدين من فصل بينهما أو ضخّم مفهوم في إحداهما عن الأخرى أخلّ بفهم هذا الدين، فالدين كجهاد فقط لا يقوم والدين كسياسة شرعية بغير جهاد يُفرض واقعاً ويغيّر معطيات أيضا لا يقوم لابد من الأمرين معاً.

لو نحاول استدراكاً على هذا التأصيل أن نناقش بعض المفاهيم بشكل محدد وبعض الصور في السياسة الشرعية التي يكثر خلاف عليها وبالتالي المشكلة في التطبيق كما ذكرت...

تفضل...

الاستضعاف والتمكين؟ في أي مرحلة نحن وما لوازم كل مرحلة؟

كما قلنا، لابد لممارسة العمل السياسي الإسلامي الشرعي من معرفة نقطة البدء ونقطة الانتهاء.

نقطة البدء لدينا استضعاف، نقطة الانتهاء "الطموح والغاية" ما هو؟ التمكين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥ ﴾ النور: ٥٥

هذا وعد الله سبحانه وتعالى الذي نرجو أن نكون من أهله.

أما واقعنا الآن واقع استضعاف نريد أن نخرج منه، نريد أن نتحرر منه، نعم لابد من روح التمكين للنهوض ... للخروج من واقع الاستضعاف، يعني كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الخندق أثناء الحصار أثناء الشدة "لتفتحن فارس لتفتحن الروم، لتفتحن مكة" أثناء الشدة لماذا؟ لرفع الروح المعنوية لإيجاد روح التمكين، روح الصبر، روح التضحية، روح المثابرة لكنه في المقابل جلس مع غطفان وحاول أن يحيّدهم بماذا؟ بثلث ثمار المدينة حتى استأمن السعود هذه واقعية ... إدراك واقع الاستضعاف وواقع الحصار الذي فُرض على المدينة، وقال لمن أرسله إلى المشركين: "لا تذعرهم علينا" لاحظ روح التمكين والواقعية كلاهما اجتمع في النبي عليه الصلاة والسلام.

الآن نحن في واقع استضعاف بحاجة إلى روح التمكين وإلى واقعية النبوة وإلى واقعية الرسالة وإلى الرشد السياسي بحاجة إلى كلا الأمرين لكي نستطيع النهوض فانطلاقنا من فقه الاستضعاف حصراً يوجب علينا مراوحة في المكان : يا أخي نحن مستضعفين، نحن مستضعفين خلص، وانطلاقنا من فقه التمكين نتكلم كأننا خلافة كأننا دولة كأننا إمارة عظمى يعني يجعلنا نتحمل تكاليف كجماعة من ورائنا كشعب وكأمة وأعباء لا نستطيع أن نقوم بها، بل سينخفض سقف مطالبنا إن تكلمنا بهذه اللغة العالية إلى سقف الإبقاء على الذات، إلى سقف الحفاظ على المعلوم من الدين بالضرورة لأنه سيصبح مهدّداً بالخطابات العالية.

لنستحضر قصة موسى عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥ ﴾ القصص: ١٥

واقع بني إسرائيل واقع استضعاف، الأقباط وفرعون متحكّمون متمكّنون من المسلمين يقتلون أبنائهم ويستحيون نسائهم، بطش، قوة عالية في الأرض كان فرعون.

فالصراعات الآن في هذا الوقت بين الفئة المستضعفة قبل إيجاد خط خلفي أو واقع تمكين جزئي تنطلق منها الدعوة هو مغامرة هذا الرجل جرّ موسى إلى هذه المسألة، في اليوم التالي فإذا الذي استنصره بالأمس اليوم يستصرخه وجره إلى معركة أخرى ما كان موسى عليه السلام بحاجة لها ولا كان واقع بني إسرائيل بحاجة لها، فما كانت النتيجة؟ فخرج منها خائفاً يترقب ولولا لطف الله سبحانه وتعالى كانت النتائج أصعب، وأُرسل إليه رجل من أقصى المدينة يخبره بمؤامرة الملأ عليه.

كذلك أيضا هذه الخطابات وهذه الجانبية بمواقع الاستضعاف هو قضاء على الدعوة، هو عودة بها إلى نقاط تجاوزتها، هو رجوع إلى الخلف حقيقة لا تقدم إلى الامام، فينبغي أن نستحضر روح التمكين وفقه المرحلة لأن طريقنا طويل.

س: كنت أقول شيخي أنه يسأل بعض المخلصين ويشكك في ذلك إلى متى ستظلّون تزعمون أنكم في مرحلة استضعاف، الدولة: أرض وشعب وسلطة وأنتم لديكم الأرض المحررة والشعب بقي السلطة التي لا تقيمونها بشكل مكتمل فتكتمل الدولة، ماردّك؟

جيد، أهم خاصية من خصائص السياسة الشرعية الراشدة هي الواقعية، هي الواقعية لا يمكن التكلّم عن دولة عندما يكون التوصيف للواقع تشرذم وفرقة، فالدولة هي اجتماع الناس على قيادة واحدة على دولة واحدة لذلك ارتأينا كخطوات صحيحة للوصول إلى هذا المراد إلى هذه الدولة ما هو؟ مشاريع التوحّد، مشاريع الجماعة التي تستوعب الجميع، فأنا لا أستطيع أن أعلن دولة وأكثر من في الساحة لا يوافقني أو يختلف معي، أنا لا أستطيع أن أزعم أنّي حاكم للناس وأنا ما أملك من الموارد الاقتصادية ما تسدّ لهم الرمق، لست أزعم ذلك، أسعى لذلك، أسعى لجمع لكلمة المسلمين، أسعى لإيجاد

إدارة وسلطة تحكم هذه البلاد تكون نابعة من هذه الثورة، نابعة من هذا الجهاد هذا ما نسعى إليه، أما الكلام عن هذا الأمر فقط لوجود رقعة جغرافية مساحة في الأرض، طيب كان يوجد مساحة في مكة لكن ما كان الواقع يسمح، فأهم شيء كما قلنا هو الواقعية.

نعم قد تسمع من بعض المخلصين يقول لك على ما نعطي الدّنية في ديننا؟ وهي في الحقيقة ليست دنيّة، لكن نحن نريد لمشروعنا أن يستمر، لا نريده حُلماً عابراً نعيش في سكرته لأشهر ثم يندثر، نريده مشروع تمكين والتمكين لا يكون بالشهر والشهرين، ولا بالسنة والسنتين والمشروع مستدام، فحرق المراحل يتنافى مع طبيعة العمل الإسلامي، النبي عليه الصلاة والسلام لسنة ٥ للهجرة بعد غزوة الخندق ما قال؟ الآن نغزوهم ولا يغزونا، الآن نغزوهم ولا يغزونا.

متى تغيّر هذا الواقع؟ متى انتقل جهاد الدفع إلى جهاد الطلب؟ متى؟ بعد ٥ سنوات من المرحلة المدنية ولا تنسى المرحلة المكّية التي كانت من قبل فقال: "الآن نغزوهم ولا يغزونا" الألباني.

متى بدأ بمراسلة ملوك الأمصار؟ كما ذكر الواقلي في سنة ستة للهجرة أرسل إلى فارس وإلى الروم وإلى كذا ... في سنة ٦ للهجرة بدأ ... مع أنه نزل في المرحلة المكية نزل قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء: ١٠٧

لكن متى بدأ يراسل العالمين؟ في سنة ستة للهجرة... هذه الواقعية بفهم الإسلام.

كثرت الأصوات من المخلصين أو من الشباب المتحمّس التي تعترض على هذه الواقعية أمر طبيعي مبرّر وإن كان غير صحيح لأنه يعود إلى المسألة التي ذكرناها وهو ضعف التربية السياسي.

ننظر في العهد المكي أيام ما كان الرجل لا يأمن أن يصلّي أمام أبناء عمومته، في قمة الاستضعاف، مالذي نزل؟ نزل قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ الشورى: ٣٨

مع أن الشورى كنظام حكم أين تجلّت؟ تجلّت في المدينة، تجلت في المدينة بعد سنوات لكن ترسيخ مفهوم الشورى، التربية السياسية من أين كانت؟ كانت من العصر المكي.

مرحلة الفتوحات والاستفادة من التوازنات الدولية التي بدأت في أواخر العصر المدني متى بدأت التربية عليها؟ في العصر المكي

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ الروم: ١ - ٥

الصراع بين القطبين (فارس والروم) الذي أوجد فراغاً سياسياً تنبت فيه دولة الإسلام في المدينة، وتنبت فيه الدعوة في الجزيرة العربية والاغتنام من هذا الفراغ السياسي الحاصل من تصادم الأمرين رُبّيَ الصحابة عليه وامتلكوا النضج السياسي من أي مرحلة؟ من المرحلة المكية.

لن نجد أنفسنا كثيرا في هذا الزمان لكننا خرجنا من واقع تجهيل، من واقع تغريب، من واقع علمنة، من واقع استضعاف شديد، من غياب في العلماء، من انحراف في المفاهيم فحتى نُنشأ هذا الجو الراشد هذا الجو الناضج الذي ينتج الدولة الراشدة بحاجة إلى وقت، وإلا ممكن أن نخرج بشكل من أشكال الدولة لكن لن يدوم طويلاً ولن يحقق غاية وما هو منشود، واسوأ ما قد تقدّمه للعمل الإسلامي: تجربة إسلامية فاشلة يشهدها عامة الناس، هذا أسوأ ما قد تقدمه.

الناس قد لا تملك وقت ولا تملك علم لتنظر في نصوص الكتاب والسنة ولتمتلك هذا اليقين الذاتي بالتحرك الناس بحاجة إلى ممارسة، بحاجة إلى عمل وهذا الدين لا يُظهر خصائصه ولا يكشف عن نفسه إلا بالعمل، إلا بالحركة، "أن امشوا " " أن اسعوا".

س: من أشهر تعريفات السياسة أنها فن ممكن ومن أهم ما تحاوله أنها تحاول تحصيل أعلى المكاسب وإن كان هناك خسائر هل في السياسة الشرعية شيء من ذلك؟

بل هي عين السياسة الشرعية ... السياسة الشرعية أن تحصّل أعلى المكاسب بأقل الخسائر، لكن وفق الشرع، ومن تأمل بسير الأنبياء وبسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص وجد من ذلك الشيء الكثير، الشيء العظيم.

لنضرب أمثلة على ذلك لتقرب الممكن: المثال الذي ذكرناه من قبل أن...... النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبقي المعركة فقط مع قريش، من تتبع المعركة من أوائل المرحلة المدنية إلى ما بعد الحديبية كان مراد النبي صلى الله عليه وسلم حصر المعركة مع قريش، وتحييد الأعداء كما فعل مع غطفان كما فعل مع قبائل اليهود أيضاً فيما بينهم يحيّد هذا العدو عن هذا العدو، ما راسل الدول كما قلنا إلا في سنة ٦ للهجرة لأنه يدرك أن الدعوة في بدايتها مازالت في بدايتها إيش؟ ضعيفة ... مازالت ضعيفة، هذا الفقه يعني أنه الفن الممكّن هو أساس السياسة، هو أساس السياسة الواقعية والمرحلية والمشكلة تكمن فيمن ينظر إلى المشهد معزولاً عن سياقه فيظن أنك تخلّيت عن الغاية العظمى لكن ما يدري أن لهذه الغاية العظمى لابد لها من مراحل تمر بها وتنتقل فيها للوصول إلى هذا الهدف كما اعترض من اعترض من الصحابة عندما كتب النبي صلى الله عليه وسلم من محمد بن عبد الله أو هذا ما صالح به محمد بن عبد الله سهيل ابن عمر، وما كتب محمد رسول الله هل يعني هذا أنه تخلّى عن وصف الرسالة؟ لا ... لكن بعد مفاوضات خمسة وفود، ما الممكن؟ كيف أستطيع أن اهدّئ نار الحرب بيننا وبين قريش لإيجاد مناخ للدعوة، لإيجاد مناخ للتحرّك، كيف أستطيع ذلك؟ لابد من صلح سياسي لابد من هدنة سياسية، بالمعنى الأدق من الصلح، هدنة سياسية.

طيب إذا قلت من محمد رسول الله تمام ... إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم ما أستطيع، طيب إذا قلت باسمك اللهم هل هناك مخالفة شرعية؟ لا، ما في مخالفة شرعية، إذا قلت محمد بن عبد الله، هل هناك مخالفة شرعية؟ لا ... هذه الواقعية التي برزت في صلح الحديبية هي سمة من أهم سمات فقه الشريعة أو فقه السياسة الشرعية التي برزت في هذا الموقف.

سيدنا إبراهيم عليه السلام يريد فرصة ليدمّر الأصنام ليظهر أن الأصنام معبودات وهمية، مالذي فعله؟ بينما قومه عبّاد للنجوم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ الصافات: ٨٨ - ٨٩

فاطمأنّ له القوم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الصافات: ٩٠ عندها راغ إلى آلهتهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ الصافات: ٩٣
حطّم هذه الأصنام ... طيب كيف استطاع أن يوجد لنفسه هذه المساحة من التحرّك؟ بالتورية بالألفاظ والواقعية والإمكانية في العمل.

س: الخطاب السياسي والرؤى السياسية تختلف تماماً عن خطاب الفُتيا ونحن نتحدث عن اللغة الشرعية وهي لغة دائماً حمّالة أوجه ولغة غير مباشرة وتقول ما لا تريد قوله وهكذا ...هل تهتم السياسة الشرعية في ذلك؟

نعم، يحضرني هنا مقولة لصلاح الدين الأيوبي -رحمة الله عليه-كان يقول: **أنا لم أفتح هذه البلاد بالجيوش إنما فتحتها بكتابات القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني رحمة الله عليه.**

اللغة السياسية تمتلك من المرونة مالا تمتلكها لغة الفُتيا ولغة التدريس وتحمل من الإشارات المبطّنة الشيء الكثير لأنها رسائل.

مثلاً النبي صلى الله عليه وسلم عندما راسل ملك الروم قال: "إلى هرقل عظيم الروم" وهو رأس من رؤوس الكفر، قد يقول المتحمّس تخلّي عن المبادئ تخلي... لكن من المرسل؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إلى هرقل عظيم الروم" لأنه يريد أن يدخل هذا الخطاب إليه، تمام ... ثم قال: "سلام على من اتبع الهدى" والسلام لا يكون على الكفار لكن قال: "سلام على من اتبع الهدى" فحمل خطاب دعوة ... دعاه إلى الهدى وتلطّف أنه لم يُظهر أنه لم يسلّم عليه بشكل مباشر وأيضا بقي ضمن إطار الشرع، فامتلك مرونة سياسية وفقه شرعي ... نتابع في الخطاب إلى ملك الروم مقطع نحن "فإن توليت فعليك إثم الأريسيين" البخاري ولم يقل عليك إثم الروم هي رسالة من النبي صلى الله عليه وسلم أنه مدرك طبيعة المجتمع الرومي وهي طبقة الأريسيين (طبقة الفلاحين)، وأن هؤلاء الفلاحين مضطهدين مظلومين من المجتمع الرومي والرسالة تحمل العدل، تحمل الخير فهي رسالة تهدد أساس الملك لدى ملك الروم، تدرك نقاط الضعف، خطابه إلى ملك الروم سطرين لكن قمة في السياسة، قمة في إدراك الواقع والرسائل المبطّنة وهذا جاء عن فهم لواقع الروم وعن فهم في العمل السياسي، لذلك أيضا نعيد ونعرّج على خطاب صلح الحديبية، وما ضمّن من باسمك اللهم ومن محمد

بن عبدالله إلى سهيل ابن عمرو هي ليست بالسقف الأعلى يعني لم يقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ونبيه وخليله... ما أتى بهذه الاوصاف لأن هناك هدف مرحلي لابد من تحقيقه، البعض اعترض وكذا وسوف ندخل إلى مكة قال "أوعدتكم في عامي هذا"؟ تمام هذه اللغة السياسية لابد له منها فما بالك في عصر الاستضعاف، لأن الله عزوجل يقول: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ آل عمران: ٢٨

إن لم تكن التّقية والمرونة السياسية موجودة أو متاحة أو مرخّص بها شرعاً فما بقي رخصة في زمن الاستضعاف... التحجّر وقلّة الفقه والممارسة وكما قلنا عنه فقه التكتيف والتربيط.

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ... اياك اياك ان تبتل في الماء

دائماً ما يفهم هذا العمل بأنه خلل شرعي... قد تقول لي هو معذور لأنه يرى رصيداً من التمييع في المقابل، نعم هذه صور موجودة لكن لا تجعل الجميع في سلة واحدة ولا في ميزان واحد تمام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ الشعراء: ١٨٢

لابد من هكذا عقلية خصوصاً في التعامل بين الإخوة وبين الفصائل والجماعات الإسلامية حتى نستطيع أن نستمر في الطريق.

س: أصيب الجهاد بعد عدة تجارب جهادية وقبل الربيع العربي بما أُصطلح عليه بأنه جهاد الفئة، كانوا يحب أصحابه أن يتوجهوا جهاد النخبة وجهاد الصفوة، فصار منفصلاً ليس فقط منفصلاً عن الأمّة بل صار أحياناً مضاداً لها كما حدث في العراق وصار معادياً لها وصار منفصلاً عنها تماماً، في التجربة الشامية والثورة السورية كان هناك محاولة بأن يعود الجهاد إلى جهاد أمة لماذا نحن نحتاج إلى ذلك وما إلى ذلك من المشاريع مشاريع التوحد ومشروع الجبهة الإسلامية ومشروع أمة وإلى آخره؟

نحن بحاجة إلى ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول لنا:

﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ الحشر: ٢

ولننظر معارك دفع الصائل التي استهدفت بيضة الإسلام، ما أتكلّم عن تنازع عن أراضي وغنائم بل أتكلّم عن معارك تستهدف بيضة الإسلام "الإبادة للإسلام" المعارك الصليبية – المعارك التترية – هل كان فيها الجهاد نخبة؟ جهاد فئة؟ جهاد جماعة؟ جهاد شريحة؟ لا بل حرّك جميع كوادر المجتمع حتى في العبارات الفقهية فرض عين على كل مسلم ومسلمة... أين هذا الكلام؟ بجهاد الدفع على الصائل.

طيب كل مسلم ومسلمة يعني ظالم لنفسه – يعني مقتصد – يعني سابق بالخيرات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣٢

فلابد لنعيد وراثة الكتاب ولنعيد الاصطفاء لهذه الأمة لابد من تفعيل هذه الفئات الثلاث فما بالك إن وجدتَ في جيش المصطفى صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من ينسحب مع منافق كم؟ شخص، شخصين؟ ثلث الجيش ينسحب مع منافق ثم واضح أن الجيش ليس على مستوى واحد وليس على نسيج واحد، من تجده في غزوة في أواخر العصر النبوي من أنزل الله فيهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦

هؤلاء أين وُجدوا؟ هذا وجد في السنة التاسعة للهجرة وفي جيش المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالطروحات الطوباوية تريد أن تُوجد جيش هو أفضل من جيش المصطفى عليه الصلاة والسلام لا يوجد فيه منافقين، لا يوجد فيه عصاة، هذا لم يوجد... يعني كلنا نحفظ قصة أبي محجن الثقفي شارب الخمر من الصحابة في غزوة القادسية ومعركة القادسية وهو

جهاد طلب فما بالك في جهاد الدفع هذه الطروحات التي نتكلم عنها جهاد النخبة وعن تحييد الأمة عن قتال عدوها ووو هي في الحقيقة مهلكة وانتحار

يعني شامويل عليه السلام بدأ في بني إسرائيل ككل

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۝٢٤٦﴾

البقرة: ٢٤٦

فحرّك بني إسرائيل ككل واستفاد من الملأ النفعي، الملأ الانتهازي استفاد منه لتحريك الامة، ثم بدأت الاختبارات مرحلة بعد مرحلة حتى وصلت إلى

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾ البقرة: ٢٤٩

أما أنت في أول المعركة تقول "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله" لن تعبر النهر حتى، لأن الحرب تأكل، الحرب تدمّر، الحرب تطحن، من تعاهدناهم ودرّسناهم في أول الجهاد الشامي الآن معظمهم شهيد، الحرب تطحن، فإن لم تجاهد بأمة كيف تستمر؟ كيف تقوم؟

هذه الطروحات الطوباوية المنفصلة عن الواقع عرفت كيف لا مكان لها في أرض الشام، بل هي مجرد طروحات في حد ذاتها خيانة وجريمة للأمة لأنها من إلقاء النفس للتهلكة، وفيها عدم اعتبار لا بتاريخ الأمة ولا بالثورات المعاصرة الإسلامية منها والشعبية الثورية في دول الكفر وغير ذلك، هذا الفهم السقيم الذي انتشر وساد بسببه خلل في الفهم أو خلْط بين القدر والشرع فيقرؤون أحاديث غربة القرآن والطائفة المنصورة فيسعون أن يكونوا غرباء في ذاتهم، طائفة في ذاتهم، تمام. هم لم يؤمروا بذلك، هم أُمروا بنفي الغربة عن الإسلام هم أُمروا بأن يدعوا الأمة إلى الاعتصام وإلى التّوحد فإن وقعت الغربة وإن وقعت الطائفة كانت أمراً قدرياً وكانت الأحاديث تسلية وتعزية لهؤلاء، لكن الخلط في هذا الباب جعلوا الغربة التي يقع عليها الإسلام غربة على المجتمع، غربة على الدعوة أما خير الناس كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم" الألباني، ومن هنا تنشأ لديه الغربة أما إذا أنا منزوي مع جماعتي ومع من أهوى في مجموعة في فصيل ولا أحتك بالآخرين ثم أقول غربة؟ هذه ليست غربة، كل انسان مسلم او كافر له بيئة يحب أن يعيش بها فإذا أنا وجدت نفسي في هذه البيئة أنا لست بغريباً لكن عندما أدخل إلى بيئة فيها تجهيل وفيها تغريب وفيها بعد عن الإسلام وأصبر وأدعو الناس وآت بهم هنا ينتابني شعور الغربة الحقيقي، فهم في الحقيقة ليسوا غرباء بل هربوا من الغربة، نمط من التكيّف معها أما حقيقة الغربة أن تجمع بين الجهاد والدعوة.

س: لكن السؤال الذي يسأله منهم نحن أصحاب هدف، ولا نقاتل عبثاً نقاتل لتحكيم شرع الله ولإقامة دولة إسلامية، فكيف أضمن صفاء المنهج ونقاء الراية وأن تكون راية صحيحة لا خلل فيها وأنا أقاتل مع كل هؤلاء؟

إذا أنت لم تصلح البيئة لديك التي سوف تحكمها وسوف تقيم شرع الله عز وجل بها فلا تتكلم عن صفاء المنهج وعن صفاء الراية في المستقبل، لأن الراية والمنهج سوف يقوم على هؤلاء، وانظر لمّا كانت بيئة بني إسرائيل بيئة جُبلت بالذّل والمهانة بسبب الحكم الفرعوني وقام سيدنا موسى وقال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ ۝١٥٥﴾ الأعراف: ١٥٥

وهؤلاء هم اختيار بني إسرائيل لكن بني إسرائيل كبني إسرائيل كله كان مشكلة فأينما اختار عرفت كيف هؤلاء الخيرة أصبحوا سفهاء هذا واقع بني إسرائيل واقع أول ما جاوز النهر، أول ما جاوز اليم قالوا

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۝١٣٨﴾ الأعراف: ١٣٨

بعد أن نجى من فرعون يعني أول ما جاوزا البحر قالوا هذه المقالة فكلام هؤلاء عن صفاء المنهج وعن نقاء وصفاء الراية، هذه الراية لن تقيمها على رأس جبل ولن تقيمها على كوكب آخر، سوف تقيمها على هذا البلد وعلى هذه الأرض وهذا هو الشعب فإن لم تعمل عليه وتعمل على إصلاحه ودعوته وتكون كما قال الله سبحانه وتعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ۝٢٩﴾ الفتح: ٢٩

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ٥٤﴾ المائدة: ٥٤

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢١٥ ﴾ الشعراء: ٢١٥

تعزيز هذه المفاهيم رحمة للعالمين فو الله لن تحلم براية حتى تحلم بصفائها، لن يكون ذلك لك وإن أبيت الاقتناع بذلك فاعلم أن سنة الله عز وجل لا تقبل التبديل ولا التحويل، الطائفة المنصورة الذين لا يتخلّون عن الحق لا يضرهم من خذلهم طائفة من الأمة "لاتزال طائفة من أمتي" الألباني وليست "عن" أمتي فعوضاً عنها واستبدالاً لها بل هم جزء منها هذه أمتنا فعلينا أن نعمل عليها.

س: مما يلاحظ أيضا عند أصحاب التجربة الجهادية أنهم أصبحوا لو صح التعبير "مولعون بالأعداء" صاروا يتحقق المنهج السليم بقدر الأعداء وكلما كان الجميع يعاديه كلما كان دليلاً على إخلاصك وعلى منهجك وعلى خطرك عليه، هل هذا صحيح من الإسلام؟

كما قلنا، من سياسة المصطفى صلى الله عليه وسلم البعد عن الأعداء وتحييد الأعداء وفي فرق بين كثرة الأعداء وكثرة المعارك

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٣١﴾ الفرقان: ٣١

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "على قدر ما فيك من نور النبوة يكن لك أعداء من المجرمين" تمام، لكن النبي عليه الصلاة والسلام على كثرة أعدائه، كل أهل الباطل أعداء للنبي عليه الصلاة والسلام... أراد أن يحارب قريش أولاً ثم أراد أن يحارب اليهود أولاً وهكذا ففرّق بين كثرة الأعداء وكثرة المعارك، أما الذين يريدون أن يفتحون معارك كثيرة فهؤلاء بعيدون عن الدعوة وعن فهم الإسلام.

أما كثرة الأعداء كعدو نعم،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ١٢٠﴾ البقرة: ١٢٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ٣٣﴾ سبأ: ٣٣

أي مكر ٢٤ ساعة يمكرون بنا، لكن فرق بين أن نخوض معاركنا جميعاً مع الكل ستؤدي بالطبع إلى الفشل وإلى ذهاب بيضة الإسلام وبين أن ندرك الآن أن المعركة معركة دفع صائل.

الإمام أحمد -رحمة الله عليه -الذي كان سيفاً على المبتدعة عندما أصبحت المعركة بين الإسلام والكفر قال للمعتصم عند فتح عمورية: "هو في حلّ مني" مع ما لاقى منه من أصناف العذاب، لماذا؟ لأن الآن معركة أمة، معركة وجود.

شيخ الإسلام ابن تيمية الذي تكلم عن المبتدعة وكل من يرد على المبتدعة يستدل من كتاباته، كان هو مع جيش الشعب، مع جيش السلطان المملوكي الذي كان صوفياً، عُرف بالعداء مع ابن تيمية وهو متصوّف، كان معهم في صفوفهم يحض عليهم ويدعو إلى السمع والطاعة لهم في قتال أعدائهم، لماذا؟ لأنها الآن معركة وجود ومعركة بقاء هذا الفقه نحن بحاجة له.

س: مالسياسة أو ما العلاقة القويمة تحدثنا عن ذلك لكن أيضا نستكمل مع الآخرين، الآخرين أقصد الآخرين داخل الدولة أو داخل المشروع والآخرين خارجهم؟ كيف يجب أن تكون العلاقة؟

أساس الدين، وأساس هذا الطريق وهذا الدرب هو الدعوة

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ يوسف: ١٠٨

والدعوة تستلزم منك أمور

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ النحل: ١٢٥

ثم شُرع القتال حماية لهذه الدعوة

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ الأنفال: ٣٩

فأساس العلاقة التي ننظر بها إلى الجميع من الداخل، من الخارج بشكل صحيح هي علاقة الدعوة وما تحتاج هذه الدعوة لتنجح ثم بعد ذلك هذا على مستوى الأفراد والشعوب وكذا ثم بعد ذلك ننظر إلى التعامل مع الحكومات أو مع المنظمات أو مع الأقليات ونرى ما يفيدنا وما يخدمنا في معركتنا الآن معركتنا ضد الرافضة والنصيرية في أرض الشام، تمام ليس من مصلحتنا أن نفتح معركة مع أحد إلا هؤلاء تمام، وهذا يستلزم منا ما أتاح لنا الشرع من عقود الهدنة والمواثيق والأحلاف وهذه الرخص والتي هي من أبواب السياسة الشرعية لابد أن نعتمد عليها ونتّكئ عليها لأننا في حرب، حرب شعب مستضعف أمام تيار رافضي تدعمه دول، تدعمه دول عظمى فلابد لنا من الاتّكاء على هذه الأمور ومن التعامل مع المحيط الداخلي والخارجي ضمن هذا الفهم بما لا يؤدي إلى استئصال شأفة الجهاد، استئصال بيضة الإسلام.

س: شيخ أبو يزن ما العلاقة بين الرخصة والعزيمة والسياسة الشرعية هل هناك علاقة؟ أو هل هناك علاقة بين الرخصة والوسيلة والسياسة الشرعية؟

نعم، سؤالك هذا يجعلني استحضر مقولة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز لأبيه لمّا ولي الحكم يحضّه ويحثّه على تنفيذ أو إصدار بعض الأوامر التي فيها إقامة للشرائع، فمما قال له: "والله لوددت أن غلت بي وبك القدور في الله" فما كان جواب عمر بن عبدالعزيز؟ قال: "والله يا بنيّ إنّي لا أستطيع أن أُخرج لهم الأمر إلا مع شيء من الدنيا أتلطّف به قلوبهم لكي لا أحمّلهم ما لا أستطيع" وفي رواية أخرى أنه قال: "لوددت أن غلت بي وبك القدور في الله يحثّه على أمر من الأوامر" قال ياولدي: "إن الله تكلّم عن الخمر وذمّها مرتين ثم حرّمها في الثالثة فلا أُريد أن أكلّف الناس ما لا يطيقون"

فهناك فرق بين ممارسة الإسلام على مستوى فردي وبين ممارسته على مستوى الشعب وعلى مستوى الحكم، إذا كان معاذ رضي الله عنه لمّا صلّى في الناس فأطال الصلاة فاشتكاه رجل من المصلين فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفتّان أنت يا معاذ إذا أممت في الناس فخفف فإن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة" مجموع الفتاوى، هذا في صلاة، فكيف بإدارة أمور الناس وحكم الناس خصوصاً بعد هذه الحرب المضنية بعد التشريد والبراميل والفقر وقلة ذات اليد، كيف وضع الناس؟

لا نريد أن نكون فتّانين للناس، أن نَفتِنهم عن دينهم، كاد الفقر أن يكون كفراً ثم لا نأتي ونُحمّل الناس مالا نستطيع بدعوة العزيمة فكاد أن يكون كفراً فيصبح كفراً، هذا خيانة للدين وخيانة لله ولرسوله، هذا ما يجري في الشام مصير أمة لأن هذه البلاد هي مقياس الأمّة "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم" الألباني، فلا تحتمل عجلة ولا تحتمل تهوّراً ولا تحتمل حماسة من غير رشد ولا تحتمل تنازلاً ولاتحتمل تمييعاً، الأمر قوامٌ بين ذلك، عوانٌ بين ذلك، هذا ما نحتاجه في أرض الشام، نسأل الله عزوجل الهداية والسداد منه سبحانه.

طيب شيخ أبو يزن شكر الله لك وأسأله أن يعيننا على استمرار السير في هذا الطريق سبيلاً إلى الرشد.

آمين، نسأل الله عزوجل الهداية وتقويم المسار بشكل دائم وهو من مقتضى قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ العنكبوت: ٦٩

فالمجاهد دائماً في عملية هداية مستمرة وإصلاح مستمر، جزاكم الله خيراً

وإيّاك.

تمّت بحمد الله تعالى

لا تنسونا من صالح دعائكم